

تفسير البحر المحيط

@ 96 @ الجمهور ، لأن التأكيد أملك بلفظة كلّ انتهى . ولا ترجيح ، إذ كل من القراءتين متواتر ، والابتداء بكل كثير في لسان العرب . .

{ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ } قيل : معناه يتسترون بهذه الأقوال التي ليست بمحض كفر ، بل هي جهالة . ويحتمل أن يكون إخباراً عما يخفونه من الكفر الذي لا يقدر أن يظهر منه أكثر من هذه النزغات . وقيل : الذي أخفوه قولهم : لو كنا في بيوتنا ما قتلنا هاهنا . وقيل : الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد . . { يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا } قال الزبير بن العوام فيما أسند عنه الطبري : وإني لكأني أسمع قول معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف والنعاس يغشاني ما أسمعته إلا كالحلم حين قال : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا . ومعتب هذا شهد بدراً ، ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره ، وكان مغموصاً عليه بالنفاق . والمعنى : ما قتل إشرافنا وخيارنا ، وهذا إطلاق اسم الكل على البعض مجازاً . .

وقوله : يقولون ، يجوز أن يكون هو الذي أخفوه ، فيكون ذلك تفسيراً بعد إبهام قوله : ما لا يبدون لك . ومعناه : يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض . . وقوله : من الأمر ، فسّر الأمر هنا بما فسر في قول عبد الله بن أبي بن سلول : هل لنا من الأمر من شيء . فقليل : المعنى لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وإنهم الغالبون ، لما غلبنا قط ، ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة ، وقيل : من الرأي والتدبير . وقيل : من دين محمد . أي لسانا على حق في اتباعه . . وجواب لو هو الجملة المنفية بما . وإذا نفيت بما فالفصح أن لا تدخل عليه اللام . . قيل : وفي قصة أحد اضطراب . ففي أولها أن عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين رجعوا ولم يشهدوا أحداً ، فعلى هذا يكون قالوا هذا بالمدينة ، ولم يقتل أحد منهم ولا من أصحابهم بالمدينة ، وإنما قتلوا بأحد ، فكيف جاء قوله هاهنا ، وحديث الزبير في سماعه معتباً يقول ذلك دليل على أن معتباً حضر أحداً ؟ فإن صح حديث الزبير فيكون قد تخلف عن عبد الله بعض المنافقين وحضر أحداً ، فيتجه قوله هاهنا ، وإن لم يصح فيوجه قوله : هاهنا إلى أنه إشارة إلى أحد إشارة القريب الحاضر لقرب أحد من المدينة . { قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْكُمْ مَصَاجِرُهُمْ } هذا النوع عند علماء البيان يسمى الاحتجاج النظري : وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدل

عليه بضروب من المعقول نحو : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
{ { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } { أَوَلَيْسَ * الَّذِي
خَلَقَ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ * بِقَادِرٍ } وبعضهم يسميه : المذهب الكلامي . ومنه
قول الشاعر : % (جرى القضاء بما فيه فإن تلم % .

فلا ملام على ما خط بالقلم .

. %)

وكتب : بمعنى فرض ، أو قضى وحتم ، أو خط في اللوح ، أو كتب ذلك الملك عليهم وهم
أجنة ، أقوال . ومعنى الآية : أنه لو تخلفتم في البيوت لخرج من حتم عليه القتل إلى مكان
مصرعه فقتل فيه ، وهذا رد على قول معتب ، ودليل على أن كل امرء له أجل واحد لا يتعداه
 . فإن قيل : فهو الأجل الذي سبق له في الأزل وإلا مات لذلك الأجل ، ولا فرق بين موته
 وخروج روحه بالقتل ، أو بأي أسباب المرض ، أو فجأه من غير مرض هو أجل واحد لكل امرء
 وإن تعددت الأسباب . وقد تكلم الزمخشري هنا بألفاظ مسهبة على عادته . فقال : لو كنتم في
بيوتكم يعني من علم أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، لم
يكن بد من وجوده . فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم أنهم يقتلون إلى
مضاجعهم وهي مصارعهم ، ليكون ما علم أنه يكون . والمعنى : أن كتب في اللوح قتل من
يقتل من المؤمنين ، وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم ، وأن
دين الإسلام يظهر على الدين كله . وإنما